

نداء

أصدره^(١) صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ، وأخذت الصحف تذيعه في الناس منذ أمس ، وفيه نذير شديد ، وتحذير للناس غليظ من أن يرسلوا أبناءهم وبناتهم إلى مدارس المبشرين ومعاهدهم بعد ما تبين لهم من أمر هذه المدارس والمعاهد ، وبعد أن أقيمت لهم الملاجيء الإسلامية ، وفتحت أمامهم أبواب المعاهد والمدارس القائمة لتعينهم على ما يحتاجون إليه من تعليم الأبناء والبنات ، وتربيتهم في بيئات إسلامية خالصة تحفظ عليهم دينهم وأخلاقهم وقوميتهم وتحميهم من كل فتنة وترد عنهم كل عدوان .

وليس من شك في أن صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر حين فكر في إصدار هذا النداء ، وحين أصدره قد أدى واجبا يفرضه عليه مركزه في هذه البلاد ، وفي غيرها من البلاد الإسلامية ، فالله - عز وجل - يطالب المسلمين جميعا بأن يأمرُوا بالمعروف وينهوا عن المنكر ، ويسارعوا إلى الخير . وهذا الواجب أشد لزوما للذين نصبوا

(١) ٢١ - ٩ - ١٩٣٣

أنفسهم رجالا للدين وأئمة للمسلمين . فكيف إذا كانت الدولة هي التي نصبتهم لذلك وكلفتهم إياه ، وأرادتهم على أن يفرغوا للأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والإسراع إلى الخير .

فشيخ الأزهر إذن قد اجتهد في أن يؤدي لله وللمسلمين وللدولة هذا الواجب الذي لم يكن له بد من تأديته ، وله على هذا الاجتهاد في تأدية الواجب أجره من الله ، وشكر الناس إياه ، سواء أوفق أو لم يوفق ، سواء أخطأ أم أصاب . فإنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى . ولسنا نشك ولا نرتاب في أن من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ، ودعا إلى الخير ، فقد برئت ذمته من عصيان العصاة ، وبغى البغاة وتقصير المقصرين وأصبح الثقل كل الثقل والإثم كل الإثم على أولئك الذين يؤمرون بالمعروف ثم لا يأترون ، وينهون عن المنكر ثم لا ينتهون ، ويدعون إلى الخير ثم لا يستجيبون وأكبر ظننا أن المسلمين سيؤدون لله ولأنفسهم واجب الائتثار بالمعروف والانتهاز عن المنكر ، والإسراع إلى الخير كما أدى صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر أو كما اجتهد صاحب الفضيلة الأستاذ في أن يؤدي واجبه مريدا الإصلاح ما استطاع

ولكن هذا النداء يدعو إلى شيء من التفكير لعله لا يخلو من العبرة والموعظة الحسنة . وهو يدعو إلى التفكير من نواح مختلفة نقف عند بعضها ، لأنه خليق حقا أن نقف عنده ، وندعو الناس جميعا إلى أن يطيلوا فيه الروية والتفكير . فهذه المدارس والمعاهد التي أقامها المبشرون ، ودعوا إليها الناس ، أو دفعوا إليها الفقراء والضعفاء دفعا ،

يتحدثنا صاحب الفضيلة بأنها مدارس ومعاهد أعدت لإخراج الناس من دينهم . وصاحب الفضيلة لا يقول هذا عفوا ، ولا يلقي هذا إلقاء وإنما يقوله بعد أن تبين له أنه الحق الذى لا يقبل شكاً ولا مرأى . وصاحب الفضيلة ينهى المسلمين عن أن يرسلوا أبناءهم وبناتهم إلى هذه المعاهد والمدارس ، وسيستمع له المسلمون إن شاء الله عز وجل . ولكننا كنا نحب ومازلنا نحب أن تستمع له الوزارة قبل أن يستمع له الشعب ، أو أن تستجيب له الوزارة الراعية قبل أن تستجيب له الأمة التى هى الرعية كما يقول الحديث الشريف الذى رواه الأستاذ فى ندائه . فما دامت الوزارة راعية للناس ، وما دامت الوزارة مسئولة عن رعيتهما ، وما دامت كل وزارة مصرية مهما تكن قد قبلت هذه التبعات ، تبعات الراعى الذى يسأل عن رعيته ، فقد يخيل إلينا أن الإثم الذى يصيب المسلمين إذا أرسلوا أبناءهم وبناتهم إلى هذه المدارس والمعاهد يقع مضاعفاً على الوزارات التى تسمح بإقامة هذه المدارس والمعاهد ، وهى تعلم كما علم الشيخ أنها أعدت لإخراج الناس عن دينهم وبأن تفتح أبوابها للناس وتدعوهم سرا وجهراً إلى أن يرسلوا إليها أبناءهم وبناتهم ليخرجوا فيها من دينهم . فليس يكفى أن تأمر الناس بالمعروف وتنههم عن المنكر ، وتدعوهم إلى الإسراع إلى الخير ، وإنما يجب أن تهون عليهم الائتثار بالمعروف وتيسر عليهم الانتهاء عن المنكر وتمهد لهم سبيل الإسراع إلى الخير .

وليس يكفى أن تقيم لهم الملاجىء وتفتح لهم المعاهد والمدارس وأنت تعلم حق العلم أن هؤلاء المبشرين من ضروب الإغراء والإغواء ، ومن فنون الكيد والمكر ما قد يمكنهم من أن يصرفوا الناس

أو قليلا منهم عن هذه الملاجىء التى أقيمت ، وعن هذه المدارس والمعاهد التى فتحت لهم أبوابها . وواضح جدا أن شيخ الأزهر لا يستطيع أن يكف الناس بالقوة عن معاهد المبشرين أو يدفع الناس بالقوة إلى معاهد المسلمين . ولا يستطيع أن يغلّق معاهد المبشرين إغلاقا . وإنما الوزارة المصرية وحدها هى التى تستطيع أن تتخذ من السبل والأسباب ما يحول قطعا بين المسلمين وبين هذه الدور التى أعدت لإخراج أبنائهم وبناتهم ، - كما يقول الشيخ ، وكما تعلم الوزارة - من الإسلام

وقد اقترحنا واقترح الناس معنا ، واقترحت هيئة كبار العلماء على الوزارة ضروبا من الوسائل لتحقيق هذه الغاية التى لا بد من تحقيقها . فقد نحب أن نعلم ماذا فعلت الوزارة بكل ما اقترح عليها من الوسائل والأسباب ، أخذت من غير شك فى إنشاء الملاجىء ودعت إلى هذا الإنشاء وأعانت عليه ولكن مدارس المبشرين ومعاهدهم وملاجئهم مازالت قائمة ، ومازالت أبوابها مفتحة ، ومازال الناس يُدعون سرا وجهرا فى أكبر الظن إلى أن يرسلوا إليها الأبناء والبنات ، ومازالت هذه المدارس والملاجىء تملك من ضروب الإغراء ما قد يجعلها أحب إلى بعض الناس ، وأثر عندهم من هذه الملاجىء التى أنشئت . فماذا اتخذت الوزارة من الأسباب لتحول بين الناس وبين هذه المعاهد الأجنبية ؟ أو لتحول بينهم وبين ما ينتظرهم من شر إن أرسلوا أبناءهم وبناتهم إليها ؟

لقد أجمع المصريون على مطالبة الوزارة بفرض المراقبة على هذه

المعاهد ، فماذا صنعت الوزارة بهذا الإجماع ؟ وإلى أى حد وصلت الوزارة فى وضع التشريع الذى وعدت به منذ زمن بعيد والذى ألح الناس ومازالوا يلحون فى أن تنشره بعد أن طوته طيا .

والناس جميعا يذكرون أن الحكومة الإنجليزية قد أذنت لمدوبها السامى فى أن يتحدث إلى الوزارة المصرية فى تنظيم هذه المراقبة . وهم جميعا يذكرون أن كلاما كثيرا قيل فى هذا الإذن ، وأن أنباء كثيرة أذيعت حوله وأن الصحف الإنجليزية تحدثت بأن وزارتنا قد اتصلت بالهيئات التبشيرية العليا لتشاورها فى أمر هذه المراقبة ، والناس جميعا يعلمون أننا أنكرنا تدخل الإنجليز فى أمر هذه المراقبة واستشارة المبشرين فى أمر هذه المراقبة التى يراد أن تفرض على معاهدهم ، ولكن الناس يريدون أن يعلموا ماذا أصاب التشريع الذى يفرض هذه المراقبة ؟ أعدلت عنها الوزارة واكتفت بإنشاء الملاجىء وبما يصدره شيخ الأزهر من النداء ؟ أم لا تزال جادة فيه ؟ فإن تكن الأولى فقد ينبغى أن تعلم الوزارة أن إنشاء الملاجىء ونداء الشيخ وغيره من المسلمين قد تخفف الشر ولكنها لا تمحوه . وإن تكن الثانية فقد نحب أن نعلم ما بال هذا التشريع لم يعلن أمره للناس أو لم تعلن أنباؤه إلى الناس . وهذا فصل الدراسة قد ابتدأ وكان ينبغى أن يحال بين الناس وما فى معاهد المبشرين من الشر قبل أن يتبدئ العام ، وتتكرر الحوادث المحزنة الخطرة التى وقعت من قبل .

نعلم أن الوزارة قد شغلت بنفسها فى هذه الأسابيع ، ولكن الوزارة لم تقم لتشغل بنفسها وإنما أقيمت لتشغل بالناس .

ونعلم أن الوزارة قد شغلت بجباية الضرائب لأن الدولة في حاجة إلى المال ، ولكننا نعلم أن جباية الضرائب ليست شيئا يقصد لنفسه ، وإنما تحبى أموال الناس لتنفق في مصالح الناس . ومن أهم مصالح الناس أن تحمى الحكومة فقراءهم وضعفاءهم من عدوان الأجنبي . ونعلم أن لدى الوزارة من المشكلات الداخلية السياسية ما قد يضطرها إلى أن تشفق من إغضاب الأجانب وترغب في مصانعتهم بعض الشيء ، ولكننا نعلم أن الوزارة لم تقم لتستعين بمصانعة الأجانب على البقاء في الحكم ، وإنما أقيمت لتخدم الشعب وتحقق مصالحه في غير هواة ولا ضعف فإن وفقت إلى ذلك فهو الخير وإلا وجب عليها أن تستقيل .

نحب أن ننظر الوزارة إلى نفسها نظرة الجد ، وأن تعلم أنها لم تقم لتشغل بأمر دون أمر ، أو لتشتد في بعض الأمور ، وتلين في بعضها الآخر ، وإنما أقيمت لتعنى بأمور الدولة كلها ، ولتشتد في حقوق الدولة كلها . نعم ، ونحب أن تعلم الوزارة ، وأن يعلمها شيخ الأزهر - إن لم يكن قد فعل - بأنه إذا كان من الحق أن الذين يرسلون أبناءهم وبناتهم إلى المعاهد التي أعدت لإخراج الناس من دينهم مرتدون ، فإن الذين يسمحون ببقاء هذه المعاهد التي أعدت لإخراج الناس من دينهم دون أن يحولوا بينها وبين غايتها المنكرة في قوة وصراحة يتعرضون عند الله وعند الناس وعند شيخ الأزهر لأمر عظيم .

فلتर्फق الوزارة بنفسها أن يصيبها من شيخ الأزهر هذا الأمر الذى أرسله صارما رهيبا .